

في البيت

يحدث أحيانا أن نلاحظ على ربة البيت أنها ترسل الخادم في شراء اللحم والخضراوات ثم تعود وترسله لشراء ما قيمته مايم من المقدونس لأنها نسبت أن تنبهه الى شرائه . ويتكرر مثل هذا النسيان منها ومثل هذه المشاوير المتعبة لخدم أو الخادمة، بل يتكرر مثل هذا الوقت المضيع منها ومن الخادم . فان شراء قطعة من الجبن أو مقدار من الزيت أو الحلوى يحتاج الى جملة مشاوير متكررة يذهب فيها وقت الخادم الذي كان يجب أن ينفقه في تنظيف البيت أو في الطبخ أو في أى عمل مفيد آخر . وفي بعض البيوت لا يكاد الخادم يبدأ عن قطع المسافات بين البيت وبين السوق في شراء الثمين والثافه من المأكولات أو من لوازم البيت الأخرى .

وليس البيت متجرا حتى نطلب من ربته أن "تمسك دفترا" وإن كان كثير من البيوت الأوروبية والأمريكية يفعل ذلك الآن . ولكن كثيرا من الوقت والجهد العصبي والعضلي يمكن الاقتصاد فيه وتوفير الراحة والمتعة لجميع سكان البيت إذا عمدت ربة البيت في الصباح فكتبت في ورقة صغيرة جدولا بكل ما ستحتاج اليه طول النهار مما تنهيا به الوجبات الثلاث غير بعض اللوازم الأخرى . ثم بعد ذلك تناقش الخادم نحو ثلاث دقائق فيما يمكن شراؤه من هذا الجدول في شارع معين أو شارعين قريبين، وهي حين تفعل ذلك يتوافر لها عمل الخادم في البيت ويحول ذلك القلق الذي يبعثها على العجلة وعلى شراء "الموجود" مما قد لا يكون خيرا ما يجب شراؤه . ولكن إلحاح الساعة يجعلها تسامح .

إننا نرى أن كثيرا من السيدات الأجنبية في القاهرة يخرجن في الصباح الى دكاكين البقالة فيشترين خليطا متعدد الأصناف من اللحم والخضراوات والفواكه والخبز ويعدن بكل هذا وهو على ما يبدو من تعدد أصنافه يكفي استهلاك النهار كله . ويمكن سيداتنا أن يكتبن جميع حاجات البيت في ورقة في الصباح يشتريها الخادم جملة حتى لا يتكرر خروجه طول النهار .

ومما يجدر ذكره بشأن الخدم أننا نرى هندامهم على غير ما نحب . وتزيد هذه الظاهرة وضوحا عند ما يكون الخادم أو الخادمة من الفلاحين فأننا نسترخص أجورهم ونستكثر منهم ونأتي بهم صفارا لا تتجاوز أجرة الصبي أو الصبية ٣٠ أو أربعين قرشا وهم بالطبع يجهدون الخدمة ويحتاجون الى التعلم ويضيق صدر ربة البيت وأولادها في تعليم هؤلاء الصغار . ولذلك كثيرا ما يلجأ أحدهم الى الشتم والضرب . وهم معذرون ، كما أن الخدم أيضا معذرون . فإن مستوى النظافة الذي نشأ عليه الصبي الفلاح أو الصبية الفلاحه هو دون المستوى الذي

نظبه عائلة تعيش في القاهرة ، وليست النظافة مع ذلك كل ما يختلف عليه أعضاء العائلة مع خدمهم الفلاحين لأن سائر الأقيسة المدنية مختلفة . ومن هنا المواقف التي يستفز فيها الغضب فإن الأولاد يشتمون الخادم أو يضربونه . وهم زيادة على الأذى الذي يوقعونه به يؤذون أنفسهم بتعودهم العنف في المعاملة .

وخير لنا جميعاً أن نستغنى عن هؤلاء الخدم الصغار من الفلاحين . والخادمة الرشيدة المسنة هي زيادة على عرفانها ودربتها تتزع من أعضاء البيت احتراماً فيسود البيت جو من الهدوء يخلو من السباب والضرب وينشأ الأولاد على أسلوب من الأخلاق ينفعون به مدى حياتهم .

ومن أعظم الفروق التي ينفصل بها البيت المصري من البيت الأجنبي نظافة المطبخ . فإننا حين نلاحظ غرفة المطبخ في بيت أجنبي نجد ستارة رقيقة على الزجاج ونجد قصرية أو قصرية قد نضر فيها الزرع واشتعلت فيها ألوان الزهر ، ونجد الآنية من الألومنيوم الخفيف الذي لا يتحمل على الناول كما تنقل علينا آنية النحاس . والألومنيوم لا يحتاج إلى المبيض لكي يكسوه بالقصدير من وقت لآخر ، ونجد التوابل والمنبهات مهياة كل منها في علبة قد كتب عليها اسمها . أما مطبخنا فليس كذلك مع الأسف حتى الخزانات التي تحفظ فيها بعض الأطعمة ليست محكمة ولذلك تروح النصارير وتغدو عليها . وفضلات الطعام تترك لكي تأكل منها هذه الحشرات وتنمو وتتكاثر مع أن الحكومة قد وضعت لنا مستودعات للزباله .

ومن بعض العادات التي لا تزال تتفشى في جميع البيوت الفقيرة تقريب وفي بعض البيوت المتوسطة تربية الدجاج والأرانب والأوز والبطة حتى يستحيل البيت إلى "دوار" . وكثيراً ما مررت بنا ظروف رأينا أننا نستيقظ فيها في الصباح بصباح الديكة في منازل الجيران . وفي مدينة مكتظة بالسكان مثل القاهرة تعد تربية هذه الحيوانات خطراً على الصحة العامة لأن برازها يجذب الذباب ، ولأن تربتها تحتاج إلى توفير الطعام لها ، وهو في العادة مما يختلف من الطبخ . والبيت في الريف بما له من سعة وفناء معرض للشمس يتحمل مثل هذه التربية للدجاج وغيره . ولكن بيوت القاهرة تضيق بها . وزيادة على ما تحدته تربية الدجاج من إزعاج عام في الليل والنهار تكون سبباً لفضاوة لا حد لها تعود بأسوأ النتائج على الصحة العامة . وبمسب ربة البيت أن تقنع بشراء ما ترغب من فراخ أو غيرها لاستهلاك اليوم فقط . وترك التربية لمن يستطيعون ذلك من الريفيين .

وجمال البيت في نظامه . ولا يمكن أن تؤدي الفوضى إلى راحة أو سعادة . ولذلك ليس من الحسن أن يستهان بالنظام . فإن الطعام مثلاً يجب ألا يؤكل إلا على المائدة . لأن كل شيء في غرفة المائدة مهياً لأن ينظف . فالكراسي كاسية بالجلد أو المشمع وكلاهما يسع بل يغسل بالصابون . فلا يؤثر عليه الطعام بدمسه . وكذلك المائدة تغطى بالمشمع أو

بالقماش وكلاهما ينظف. أما حين ينقل الطعام إلى غرفة النوم أو الجلوس فإنه يلوث الأثاث تلويثاً لا يسهل تنظيفه منه . فإذا أصرت ربة البيت على ألا يوضع الطعام إلا على المائدة وعلى ألا يأكل أحد إلا في غرفة المائدة فإن إصرارها هذا يعمم النظام في المنزل ويوفر النظافة ويقي الأثاث من الابتذال .

وما دمنّا في صدد المائدة فإننا يجب أن نذكر ربة البيت بضرورة التطور في تهيئة الطعام فإن طعامنا كثير السوائل التي لا تسهل معها نظافة التناول ورشاقته . وكيف يمكن مثلاً أن نأكل الملوخية ونحرص مع ذلك على نظافة قماش المائدة ولا نقول نظافة ملابسنا والطهي الأوربي يمتاز هنا بميزات متعددة . فإنه قليل السوائل قليل الدسم قليل التوابل . نستطيع أن نتناوله في نظافة دون أن نرتبك . كما أن قلة دسمه تجعلنا نهض ونحمن متخففين في نشاط لا نحسه حين نأكل أطعمتنا الدسمة التي تثقلنا نحولاً بل نعاساً . ومن أسوأ ما نجد في مائدتنا تلك الألوان التي يكثر فيها البصل والثوم ، مما يجعل الأنفاس كريهة بضع ساعات بعد تناول الطعام . وليس من أخلاق المتمدنين أن تكون أنفاسهم كريهة بمثل هذه التوابل التي يمكن الاستغناء عنها إلا أقلها .

والمائدة المصرية تعتمد على المطبخ المصري . وهو الذي يحتاج إلى الإصلاح من حيث تغيير الطبخ . فإن الطبخ التركي لا يزال هو الطريقة العامة لتهيئة الطعام . وهو كثير الدسم كثير اللحوم . وما يقدم للفرد عندنا وقت الغذاء من الطعام يكفي لثلاثة أو أربعة من الانجليز أو الأمريكين الذين يقنعون بكسرة من الخبز وقطعة من اللحم مع السلطة ويقومون خفافاً إلى العمل في حين نتكفى نحن بعد الغذاء إلى السرير لنقل ما تحمل من طعام دسم كثير .

إننا نريد بيتاً متقدماً . ولا يمكن التقدم مع هذه الأحوال التي نعيش فيها من مطبخ قدر إلى تربية للدجاج ، إلى استخدام صبيان الریف ، إلى حشد المائدة بألوان من الطعام الدسم المتسول .